تفسير سورة ق

هى خمس وأربعون آية . وهى مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وروى عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا آية ، وهى قوله : ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ وهى أول المفصل على الصحيح . وقيل : من الحجرات . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة ق بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وقد أخرج مسلم وغيره عن قطبة بن مالك قال : كان النبى ﷺ يقرأ فى الفجر فى الركعة الأولى ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾ (١) . وأخرج أحمد ومسلم وأهل السنن عن أبى واقد الليثى قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيد بقاف واقتربت (٢) . وأخرج ابن أبى شيبة وأبو داود وابن ماجة والبيهقى عن أم هشام ابنة حارثة قالت : ما أخذت ﴿ **ق والقرآن المجيد** ﴾ إلا من فىّ رسول الله ﷺ كان يقرأ بها فى كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس ، وهو فى صحيح مسلم (٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)** ﴾

---

(١) مسلم فى الصلاة (٤٥٧/ ١٦٣) وصححه الحاكم ٢/ ٤٦٥ على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، وابن ماجة فى إقامة الصلاة (٨١٦) .

(٢) أحمد ٥/ ٢١٨ ومسلم فى صلاة العيدين (٨٩١/ ١٤) والترمذى فى أبواب الصلاة (٥٣٣) والنسائى فى التفسير (٥٧٠) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (١٢٨٢) .

(٣) ابن أبى شيبة (٢ / ١١٥) ومسلم فى الجمعة (٨٧٣ / ٥١) وأبو داود فى الصلاة (١١٠٠) والنسائى فى التفسير (٥٤٠) والبيهقى ٣ / ٢١١ .

قوله : ﴿ **ق والقرآن المجيد** ﴾ الكلام فى إعراب هذا كالكلام الذى قدمنا فى قوله : ﴿ص . والقرآن ذى الذكر ﴾ [ص : ١] وفى قوله : ﴿ حم . والكتاب المبين ﴾ [الدخان : ١ ، ٢] واختلف فى معنى ﴿ **ق** ﴾ فقال الواحدى : قال المفسرون : هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد والسماء مقببة عليه . وهو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة . قال الفراء : كان يجب على هذا أن يظهر الإعراب فى ﴿ **ق** ﴾ لأنه اسم ، وليس بهجاء . قال : ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كقول القائل :

قلت لها قفى فقالت قاف

أى أنا واقفة ، وحكى الفراء والزجاج : أن قوما قالوا : معنى ﴿ **ق** ﴾ : قفى الأمر وقضى ما هو كائن ، كما قيل فى ﴿ **حم** ﴾ :حم الأمر . وقيل : هو اسم من أسماء الله أقسم به ، وقال قتادة : هو اسم من أسماء القرآن ، وقال الشعبى : فاتحة السورة ، وقال أبو بكر الوراق : معناه : قف عند أمرنا ونهينا ولا تعدهما . وقيل : غير ذلك مما هو أضعف منه . والحق أنه من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه كما حققنا ذلك فى فاتحة سورة البقرة ، ومعنى ﴿**المجيد** ﴾ : أنه ذو مجد وشرف على سائر الكتب المنزلة ، وقال الحسن : الكريم . وقيل : الرفيع القدر . وقيل : الكبير القدر ، وجواب القسم قال الكوفيون هو قوله : ﴿ **بل عجبوا** ﴾ وقال الأخفش : جوابه محذوف كأنه قال : ق والقرآن المجيد لتبعثن ، يدل عليه : ﴿ **أئذا متنا وكنا ترابا** ﴾ وقال ابن كيسان :جوابه ﴿**ما يلفظ من قول**﴾. وقيل : هو ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ بتقدير اللام ، أى لقد علمنا . وقيل : هو محذوف ، وتقديره : أنزلنا إليك لتنذر ، كأنه قيل : ق والقرآن المجيد ، أنزلناه إليك لتنذر به الناس. قرأ الجمهور قاف بالسكون . وقرأ الحسن وابن أبى إسحاق ونصر بن عاصم بكسر الفاء . وقرأ عيسى الثقفى بفتح الفاء ، وقرأ هارون ومحمد بن السميقع بالضم. ﴿**بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم**﴾ « بل » للإضراب عن الجواب على اختلاف الأقوال . « وأن » فى موضع نصب على تقدير : لأن جاءهم ، والمعنى : بل عجب الكفار لأن جاءهم منذر منهم وهو محمد ﷺ ، ولم يكتفوا بمجرد الشك والرد ، بل جعلوا ذلك من الأمور العجيبة . وقيل : هو إضراب عن وصف القرآن بكونه مجيدا ، وقد تقدم تفسير هذا فى سورة ﴿ص﴾. ثم فسر ما حكاه عنهم من كونهم عجبوا بقوله: ﴿**فقال الكافرون هذا شىء عجيب**﴾ وفيه زيادة تصريح وإيضاح . قال قتادة : عجبهم أن دعوا إلى إله واحد ، وقيل : تعجبهم من البعث ، فيكون لفظ ﴿**هذا**﴾ إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده من قوله :﴿**أئذا متنا**﴾ إلخ . والأول أولى . قال الرازى: الظاهر أن قولهم هذا إشارة إلى مجىء المنذر .

ثم قالوا : ﴿**أئذا متنا**﴾ وأيضا قد وُجد هاهنا بعد الاستبعاد بالاستفهام أمر يؤدى معنى التعجب ، وهو قولهم: ﴿**ذلك رجع بعيد**﴾ فإنه استبعاد وهو كالتعجب ، فلو كان التعجب بقولهم : ﴿ هذا شىء عجيب ﴾ عائدا إلى قولهم : ﴿ أئذا ﴾ ؛ لكان كالتكرار . فإن قيل :

التكرار الصريح يلزم من قولك : هذا شيء عجيب أنه يعود إلى مجيء المنذر ، فإن تعجبهم منه علم من قولهم : وعجبوا أن جاءهم فقوله : ﴿ **هذا شيء عجيب** ﴾ يكون تكرارا ، فنقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لأنه لما قال : ﴿ **بل عجبوا** ﴾ بصيغة الفعل وجاز أن يتعجب الإنسان مما لا يكون عجبا كقوله: ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ [هود: ٧٣] ويقال فى العرف: لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب ، فكأنهم لما عجبوا قيل لهم : لا معنى لتعجبكم ، فقالوا : ﴿**هذا شيء عجيب**﴾ فكيف لا نعجب منه ، ويدل على ذلك قوله ها هنا : ﴿ **فقال الكافرون** ﴾ بالفاء ، فإنها تدل على أنه مترتب على ما تقدم، قرأ الجمهور: ﴿ **أئذا متنا** ﴾ بالاستفهام، وقرأ ابن عامر فى رواية عنه وأبو جعفر والأعمش والأعرج بهمزة واحدة ، فيحتمل الاستفهام كقراءة الجمهور وهمزة الاستفهام مقدرة ، ويحتمل أن معناه الإخبار ، والعامل فى الظرف مقدر، أى أيبعثنا ، أو أنرجع إذا متنا لدلالة ما بعده عليه، هذا على قراءة الجمهور، وأما على القراءة الثانية فجواب «إذا محذوف»، أى رجعنا. وقيل: ذلك رجع، والمعنى: استنكارهم للبعث بعد موتهم ومصيرهم ترابا، ثم جزموا باستبعادهم للبعث فقالوا: ﴿**ذلك**﴾ أى البعث ﴿**رجع بعيد**﴾ أى بعيد عن العقول أو الأفهام أو العادة أو الإمكان ،يقال : رجعته أرجعه رجعا، ورجع هو يرجع رجوعا .

ثم رد سبحانه ما قالوه فقال : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ أى ما تأكل من أجسادهم فلا يضل عنا شيء من ذلك ومن أحاط علمه بكل شيء حتى انتهى إلى علم ما يذهب من أجساد الموتى فى القبور لا يصعب عليه البعث ولا يستبعد منه ، وقال السدى : النقص هنا الموت ، يقول : قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى ؛ لأن من مات دفن ، فكأن الأرض تنقص من الأموات . وقيل : المعنى : من يدخل فى الإسلام من المشركين . والأول أولى :﴿ **وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ أى حافظ لعدتهم وأسمائهم ولكل شيء من الأشياء ، وهو اللوح المحفوظ . وقيل: المراد بالكتاب هنا العلم والإحصاء ، والأول أولى . وقيل : ﴿ **حفيظ** ﴾ بمعنى : محفوظ، أى محفوظ من الشياطين أو : محفوظ فيه كل شيء . ثم أضرب سبحانه عن كلامهم الأول وانتقل إلى ما هو أشنع منه فقال : ﴿**بل كذبوا بالحق** ﴾ فإنه تصريح منهم بالتكذيب بعد ما تقدم عنهم من الاستبعاد ، والمراد بالحق هنا : القرآن ، قال الماوردى فى قول الجميع . وقيل : هو الإسلام . وقيل : محمد . وقيل : النبوة الثابتة بالمعجزات ﴿ **لما جاءهم** ﴾ أى وقت مجيئه إليهم من غير تدبر ولا تفكر ولا إمعان نظر ، قرأ الجمهور بفتح اللام وتشديد الميم ، وقرأ الجحدرى بكسر اللام وتخفيف الميم . ﴿ **فهم فى أمر مريج** ﴾ أى مختلط مضطرب، يقولون مرة ساحر ، ومرة شاعر ، ومرة كاهن ، قاله الزجاج وغيره . وقال قتادة: مختلف. وقال الحسن: ملتبس، والمعنى متقارب. وقيل : فاسد والمعانى متقاربة ، ومنه قولهم : مرجت أمانات الناس، أى فسدت ، ومرج الدين والأمر : اختلط .

﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم** ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ ، أى كيف غفلوا

عن النظر إلى السماء فوقهم ﴿ **كيف بنيناها** ﴾ وجعلناها على هذه الصفة مرفوعة بغير عماد تعتمد عليه ﴿ **وزيناها** ﴾ بما جعلنا فيها من المصابيح ﴿ **ومالها من فروج** ﴾ أى فتوق وشقوق وصدوع ، وهو جمع فرج ومنه قول امرئ قيس :

ويسد به فرجا من دبر

قال الكسائى : ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق والأرض ﴿ **مددناها** ﴾ أى بسطناها ﴿**وألقينا فيها رواسى** ﴾ أى جبالا ثوابت ، وقد تقدم تفسير هذا فى سورة الرعد . ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ أى من كل صنف حسن وقد تقدم تفسير هذا فى سورة الحج . ﴿ **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ هما علتان لما تقدم منتصبتان بالفعل الأخير منها ، أو بمقدر ، أى فعلنا ما فعلنا للتبصير والتذكير قاله الزجاج ، وقال أبو حاتم : انتصبا على المصدرية ، أى جعلنا ذلك تبصرة وذكرى ، والمنيب : الراجع إلى الله بالتوبة المتدبر فى بديع صنعه وعجائب مخلوقاته ، وفى سياق هذه الآيات تذكير لمنكرى البعث وإيقاظ لهم عن سنة الغفلة ، وبيان لإمكان ذلك وعدم امتناعه : فإن القادر على مثل هذه الأمور يقدر عليه ، وهكذا قوله : ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركا** ﴾ أى نزلنا من السحاب ماء كثير البركة لانتفاع الناس به فى غالب أمورهم ﴿ **فأنبتنا به جنات** ﴾ أى أنبتنا بذلك الماء بساتين كثيرة ﴿ **وحب الحصيد** ﴾ أى ما يقتات ويحصد من الحبوب والمعنى : وحب الزرع الحصيد ، وخص الحب لأنه المقصود ، كذا قال البصريون . وقال الكوفيون : هو من باب إضافة الشىء إلى نفسه، كمسجد الجامع ، حكاه الفراء ، قال الضحاك: ﴿ **حب الحصيد** ﴾: البر والشعير . وقيل : كل حب يحصد ويدخر ويقتات . ﴿ **والنخل باسقات لها طلع نضيد** ﴾ هو معطوف على ﴿ **جنات** ﴾ ، أى وأنبتنا به النخل ، وتخصيصها بالذكر مع دخولها فى الجنات للدلالة على فضلها على سائر الأشجار ، وانتصاب ﴿ **باسقات** ﴾ على الحال ، وهى حال مقدرة لأنها وقت الإنبات لم تكن باسقة ، قال مجاهد وعكرمة وقتادة : الباسقات : الطوال ، وقال سعيد بن جبير : مستويات، وقال الحسن وعكرمة والفراء : مواقير حوامل ، يقال : للشاة إذا بسقت : ولدت ، والأشهر فى لغة العرب الأول ، يقال : بسقت النخلة بسوقا : إذا طالت ، ومنه قول الشاعر :

لنا خمر وليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات

كرام فى السماء ذهبن طولا وفات ثمارها أيدى الجناة

وجملة : ﴿ **لها طلع نضيد**﴾ فى محل نصب على الحال من ﴿ **النخل** ﴾ ، الطلع : هو أول ما يخرج من ثمر النخل،يقال : طلع الطلع طلوعا ، والنضيد : المتراكب الذى نضد بعضه على بعض، وذلك قبل أن ينفتح فهو نضيد فى أكمامه فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد. ﴿**رزقا للعباد** ﴾ انتصابه على المصدرية ، أى رزقناهم رزقا ، أو على العلة ، أى أنبتنا هذه الأشياء للرزق ﴿ **وأحيينا به بلدة ميتا** ﴾ أى أحيينا بذلك الماء بلدة مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع، وجملة:

﴿ **كذلك الخروج** ﴾ مستأنفة لبيان أن الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الإحياء الذى أحيا الله به الأرض الميتة ، قرأ الجمهور : ﴿ **ميتا** ﴾ على التخفيف ، وقرأ أبو جعفر وخالد بالتثقيل .

ثم ذكر سبحانه الأمم المكذبة فقال : ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس** ﴾ هم قوم شعيب كما تقدم بيانه . وقيل : هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى ، وهم من قوم عيسى . وقيل هم أصحاب الأخدود ، والرس : إما موضع نسبوا إليه ، أو فعل ، وهو حفر البئر ، يقال : رس : إذا حفر بئرا ﴿ **وثمود . وعاد وفرعون** ﴾ أى فرعون وقومه ﴿ **وإخوان لوط** ﴾ جعلهم إخوانه لأنهم كانوا أصهاره . وقيل : هم من قوم إبراهيم وكانوا من معارف لوط ﴿ **وأصحاب الأيكة** ﴾ تقدم الكلام على الأيكة واختلاف القراء فيها فى سورة الشعراء مستوفى، ونبيهم الذى بعثه الله إليهم شعيب ﴿ **وقوم تبع** ﴾ هو تبع الحميرى الذى تقدم ذكره فى قوله: ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾[الدخان : ٣٧] واسمه سعد أبو كرب . وقيل : أسعد ؟ قال قتادة : ذم الله قوم تبع ، ولم يذمه ﴿ **كل كذب الرسل** ﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه ، أى كل واحد من هؤلاء كذب رسوله الذى أرسله الله إليه، وكذب ما جاء به من الشرع . واللام فى ﴿**الرسل**﴾ تكون للعهد ، ويجوزأن تكون للجنس ، أى كل طائفة من هذه الطوائف كذبت جميع الرسل ، وإفراد الضمير فى ﴿ **كذب** ﴾ باعتبار لفظ ﴿ **كل** ﴾ ، وفى هذا تسلية لرسول الله ﷺ كأنه قيل له: لا تحزن ولا تكثر غمك لتكذيب هؤلاء لك، فهذا شأن من تقدمك من الأنبياء، فإن قومهم كذبوهم ولم يصدقهم إلا القليل منهم ﴿ **فحق وعيد** ﴾ أى وجب عليهم وعيدى وحقت عليهم كلمة العذاب ، وحل بهم ما قدره الله عليهم من الخسف والمسخ والإهلاك بالأنواع التى أنزلها الله بهم من عذابه .

﴿ **أفعيينا بالخلق الأول** ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ ، والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث الذى أنكرته الأمم، أى أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيئا ، فكيف نعجز عن بعثهم ، يقال : عييت بالأمر : إذا عجزت عنه ولم أعرف وجهه . قرأ الجمهور بكسر الياء الأولى بعدها ياء ساكنة ، وقرأ ابن أبى عبلة بتشديد الياء من غير إشباع ، ثم ذكر أنهم فى شك من البعث ، فقال : ﴿ **بل هم فى لبس من خلق جديد** ﴾ أى فى شك وحيرة واختلاط من خلق مستأنف ، وهو بعث الأموات ، ومعنى الإضراب أنهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الأول ﴿ **بل هم فى لبس من خلق جديد** ﴾ .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله :﴿ **ق** ﴾ قال : هو اسم من أسماء الله . وأخرج ابن أبى حاتم عنه قال :خلق الله من وراء هذه الأرض بحرا محيطا ، ثم خلق وراء ذلك جبلا يقال له: قاف السماء الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ، ثم خلق وراء

ذلك جبلا يقال له : قاف ، السماء الثانية مرفوعة عليه ، حتى عد سبع أرضين ، وسبعة أبحر ، وسبعة أجبل ، وسبع سموات ، قال : وذلك قوله : ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ [لقمان : ٢٧] . قال ابن كثير : لا يصح سنده عن ابن عباس وقال أيضا : وفيه انقطاع (١) . وأخرج ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عنه أيضا قال : هو جبل وعروقه إلى الصخرة التى عليها الأرض ، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرك ذلك العرق الذى يلى تلك القرية فيزلزلها ويحركها ، فمن ثم يحرك القرية دون القرية . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **والقرآن المجيد** ﴾ قال : الكريم . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا قال : القرآن المجيد ليس شيء أحسن منه ولا أفضل .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ قال : أجسادهم وما يذهب منها . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى الآية قال : ما تأكل من لحومهم وعظامهم وأشعارهم . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه أيضا . قال المربع : الشيء المتغير . وأخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه عن قطبة قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ فى الصبح : ﴿ ق ﴾ . فلما أتى على هذه الآية : ﴿ **والنخل باسقات** ﴾ فجعلت أقول: ما بسوقها ؟ قال : « طولها » (٢) . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **والنخل باسقات** ﴾ قال : الطول . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **لها طلع نضيد** ﴾ قال : متراكم بعضه على بعض . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **أفعيينا بالخلق الأول** ﴾ يقول : لم يعينا الخلق الأول . وفى قوله : ﴿ **بل هم فى لبس من خلق جديد** ﴾ فى شك من البعث .

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ**

(١) ابن كثير ٦/ ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٢) صححه الحاكم ٢/ ٤٦٤ على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد (٣٠) وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣١) هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (٣٢) من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (٣٥)

قوله : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن ذكر بعض القدرة الربانية ، والمراد بالإنسان الجنس . وقيل : آدم . والوسوسة هى فى الأصل الصوت الخفى ، والمراد بها هنا : ما يختلج فى سره وقلبه وضميره ، أى نعلم ما يخفى ويكن فى نفسه ، ومن استعمال الوسوسة فى الصوت الخفى قول الأعشى :

تسمع للحلى وسواسا إذا انصرفت

فاستعمل لما خفى من حديث النفس ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ هو حبل العاتق ، وهو ممتد من ناحية حلقه إلى عاتقه ، وهما وريدان من عن يمين وشمال . وقال الحسن : الوريد : الوتين ، وهو عرق معلق بالقلب ، وهو تمثيل للقرب بقرب ذلك العرق من الإنسان ، أى نحن أقرب إليه من حبل وريده ، والإضافة بيانية ، أى حبل هو الوريد . وقيل : الحبل هو نفس الوريد ، فهو من باب مسجد الجامع . ثم ذكر سبحانه أنه مع علمه به وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله إلزاما للحجة فقال : ﴿**إذ يتلقى المتلقيان**﴾ الظرف منتصب بما فى ﴿**أقرب**﴾ من معنى الفعل ، ويجوز أن يكون منصوبا بمقدر هو اذكر ، والمعنى : أنه أقرب إليه من حبل وريده حين يتلقى ﴿ **المتلقيان** ﴾ ، وهما الملكان الموكلان به ما يلفظ به وما يعمل به ، أى يأخذان ذلك ويثبتانه ، والتلقى الأخذ ، أى نحن أعلم بأحواله غير محتاجين إلى الحفظة الموكلين به ، وإنما جعلنا ذلك إلزاما للحجة وتوكيدا للأمر ، قال الحسن وقتادة ومجاهد : المتلقيان ملكان يتلقيان عملك أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك ، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك ، وقال مجاهد أيضا : وكل الله بالإنسان ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان أثره ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ إنما قال : ﴿ **قعيد** ﴾ ولم يقل : قعيدان وهما اثنان ؛ لأن المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ، فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ، كذا قال سيبويه كقول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأى مختلف

وقال الفرزدق :

وأتى وكان وكنت غير عذور

أى وكان غير عذور وكنت غير عذور . وقال الأخفش والفراء : إن لفظ ﴿ **قعيد** ﴾ يصلح للواحد والاثنين والجمع ولا يحتاج إلى تقدير فى الأول . قال الجوهرى وغيره من أئمة اللغة

والنحو: فعيل وفعول مما يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع . والقعيد : المقاعد كالجليس بمعنى المجالس . ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ أى ما يتكلم من كلام ، فيلفظه ويرميه من فيه إلا لديه ، أى لدى ذلك اللافظ رقيب ، أى ملك يرقب قوله ويكتبه . والرقيب : الحافظ المتتبع لأمور الإنسان الذى يكتب ما يقوله من خير وشر . فكاتب الخير هو ملك اليمين ، وكاتب الشر ملك الشمال ، والعتيد : الحاضر المهيأ . قال الجوهرى : العتيد الحاضر المهيأ ، يقال : عتده تعتيدا وأعتده اعتدادا ، أى أعده ، ومنه : ﴿ وأعتدت لهن متكأ ﴾ [يوسف: ٣١] والمراد هنا : أنه معد للكتابة مهيأ لها . ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق** ﴾ لما بين سبحانه أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة ذكر بعده ما ينزل بهم من الموت ، والمراد بسكرة الموت شدته وغمرته التى تغشى الإنسان وتغلب على عقله ، ومعنى ﴿ **بالحق** ﴾ : أنه عند الموت يتضح له الحق ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الإخبار بالبعث والوعد والوعيد . وقيل : الحق هو الموت. وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، أى وجاءت سكرة الحق بالموت ، وكذا قرأ أبو بكر الصديق وابن مسعود ، والسكرة : هى الحق ، فأضيفت إلى نفسها لاختلاف اللفظين . وقيل : الباء للملابسة كالتى فى قوله :﴿تنبت بالدهن ﴾ [المؤمنون : ٢٠] أى متلبسة بالحق ، أى بحقيقة الحال . والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى الموت ، والحيد : الميل ، أى ذلك الموت الذى كنت تميل عنه وتفر منه. يقال : حاد عن الشىء يحيد حيودا وحيدة وحيدودة : مال عنه وعدل، ومنه قول طرفة :

أبو منذر رمت الوفاء فهبته ... وحدت كما حاد البعير عن الدحض

وقال الحسن : تحيد : تهرب ﴿ **ونفخ فى الصور** ﴾ عبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه ، وهذه هى النفخة الآخرة للبعث ﴿ **ذلك يوم الوعيد** ﴾ أى ذلك الوقت الذى يكون فيه النفخ فى الصور يوم الوعيد الذى أوعد الله به الكفار قال مقاتل : يعنى بالوعيد : العذاب فى الآخرة ، وخصص الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعد والوعيد جميعا لتهويله . ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ أى جاءت كل نفس من النفوس معها من يسوقها ومن يشهد لها أو عليها. واختلف فى السائق والشهيد . فقال الضحاك : السائق من الملائكة ، والشهيد من أنفسهم ، يعنى : الأيدى والأرجل ، وقال الحسن وقتادة : سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها . وقال ابن مسلم : السائق : قرينها من الشياطين . سمى سائقا لأنه يتبعها وإن لم يحثها . وقال مجاهد : السائق والشهيد ملكان . وقيل : السائق :الملك والشهيد : العمل . وقيل : السائق : كاتب السيئات ، والشهيد : كاتب الحسنات ، ومحل الجملة النصب على الحال . ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا** ﴾ أى يقال له : لقد كنت فى غفلة من هذا ، والجملة فى محل نصب على الحال من ﴿**نفس**﴾ أو مستأنفة كأنه قيل : ما يقال له . قال الضحاك : المراد بها: المشركون؛ لأنهم كانوا فى غفلة من عواقب أمورهم . وقال ابن زيد: الخطاب للنبى ﷺ ، أى لقد كنت يا محمد فى غفلة من الرسالة ، وقال أكثر المفسرين : المراد به جميع الخلق برهم

وفاجرهم ، واختار هذا ابن جرير . قرأ الجمهور بفتح التاء من ﴿ **كنت** ﴾ وفتح الكاف فى ﴿**غطاءك**﴾ و ﴿ **بصرك** ﴾ حملا على ما فى لفظ ﴿ **كل** ﴾ من التذكير . وقرأ الجحدرى وطلحة بن مصرف بالكسر فى الجميع على أن المراد النفس ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك** ﴾ الذى كان فى الدنيا ، يعنى : رفعنا الحجاب الذى كان بينك وبين أمور الآخرة ، ورفعنا ما كنت فيه من الغفلة عن ذلك ﴿ **فبصرك اليوم حديد**﴾ أى نافذ تبصر به ما كان يخفى عليك فى الدنيا . قال السدى : المراد بالغطاء : أنه كان فى بطن أمه فولد . وقيل : إنه كان فى القبر فنشر ، والأول أولى ، والبصر ، قيل : هو بصر القلب ، وقيل : بصر العين . وقال مجاهد : بصرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك ، وبه قال الضحاك .

﴿ **وقال قرينه هذا ما لدى عتيد** ﴾ أى قال الملك الموكل به : هذا ما عندى من كتاب عملك ﴿ **عتيد** ﴾ حاضر قد هيأته ، كذا قال الحسن وقتادة والضحاك ، وقال مجاهد : إن الملك يقول للرب سبحانه : هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله ، وروى عنه أنه قال : إن قرينه من الشياطين ، يقول ذلك : أى هذا ما قد هيأته لك بإغوائى وإضلالى . وقال ابن زيد : إن المراد هنا قرينه من الإنس، وعتيد مرفوع على أنه صفة لما إن كانت موصوفة، وإن كانت موصولة فهو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف . ﴿**ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد**﴾ هذا خطاب من الله عز وجل للسائق والشهيد . قال الزجاج : هذا أمر للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد : كل كفار للنعم عنيد مجانب للإيمان ﴿ **مناع للخير** ﴾ لا يبذل خيرا ﴿**معتد**﴾ ظالم لا يقر بتوحيد الله ﴿ **مريب** ﴾ شاك فى الحق ، من قولهم : أراب الرجل : اذا صار ذا ريب وقيل: هو خطاب للملكين من خزنة النار. وقيل : هو خطاب لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره ، قال الخليل والأخفش: هذا كلام العرب الصحيح أن يخاطب الواحد بلفظ الاثنين يقولون: ارحلاها وازجراها، وخذاه وأطلقاه للواحد، قال الفراء: العرب تقول: للواحد قوما عنا. وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل فى إبله وغنمه ورفقته فى سفره اثنان فجرى كلام الرجل للواحد على ذلك ، ومنه قولهم للواحد فى الشعر خليلى كما قال امرؤ القيس :

خليلى مرا بى على أم جندب ... نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول الآخر :

فإن تزجرانى يابن عفان أنزجر ... وإن تدعوانى أحم عرضا ممنعا

قال المازنى : قوله : ﴿ **ألقيا** ﴾ يدل على ألق ألق . قال المبرد : هى تثنية على التوكيد فناب ألقيا سناب ألق ألق . قال مجاهد وعكرمة : العنيد : المعاند للحق . وقيل : المعرض عن

الحق . يقال : عند يعند بالكسر عنودا : إذا خالف الحق . ﴿**الذى جعل مع الله إلها آخر**﴾ يجوز أن يكون بدلا من ﴿ **كل** ﴾ أو منصوبا على الذم ، أو بدلا من ﴿**كفار**﴾ أو مرفوعا بالابتداء أو الخبر ﴿**فألقياه فى العذاب الشديد**﴾ تأكيد للأمر الأول أو بدل منه ﴿**قال قرينه ربنا ما أطغيته**﴾ هذه الجملة مستأنفة لبيان ما يقوله القرين ، والمراد بالقرين هنا : الشيطان الذى قيض لهذا الكافر ، أنكر أن يكون أطغاه ، ثم قال : ﴿ **ولكن كان فى ضلال بعيد** ﴾ أى عن الحق فدعوته فاستجاب لى ، ولو كان من عبادك المخلصين لم أقدر عليه . وقيل : إن قرينه الملك الذى كان يكتب سيئاته وإن الكافر يقول : رب إنه أعجلنى فيجيبه بهذا ، كذا قال مقاتل وسعيد ابن جبير . والأول أولى . وبه قال الجمهور .

﴿ **قال لا تختصموا لدى** ﴾ هذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ، فماذا قال الله ؟ فقيل : ﴿ **قال لا تختصموا لدى** ﴾ يعنى : الكافرين وقرناءهم ، نهاهم سبحانه عن الاختصام فى موقف الحساب ، وجملة : ﴿ **وقد قدمت إليكم بالوعيد** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى والحال أن قد قدمت إليكم بالوعيد بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، والباء فى ﴿**بالوعيد**﴾ مزيدة للتأكيد أو على تضمين قدم معنى تقدم ﴿ **ما يبدل القول لدى** ﴾ أى لا خلف لوعدى ، بل هو كائن لا محالة ، وقد قضيت عليكم بالعذاب فلا تبديل له . وقيل : هذا القول هو قوله : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ [الأنعام : ١٦٠] وقيل : هو قوله : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ [السجدة: ١٣] وقال الفراء وابن قتيبة : معنى الآية : أنه ما يكذب عندى بزيادة فى القول ولا بنقص منه لعلمى بالغيب ، وهو قول الكلبى ، واختاره الواحدى لأنه قال : ﴿ **لدى** ﴾ ولم يقل : وما يبدل قولى ، والأول أولى . وقيل: إن مفعول ﴿ **قدمت إليكم** ﴾ هو ﴿ **ما يبدل** ﴾ ، أى وقد قدمت إليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد ، وهذا بعيد جدا ﴿ **وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ أى لا أعذبهم ظلما بغير جرم اجترموه ولا ذنب أذنبوه ، ولما كان نفى الظلام لا يستلزم نفى مجرد الظلم قيل : إنه هنا بمعنى : الظالم ، كالثمار بمعنى : الثامر . وقيل : إن صيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم . وقيل : صيغة المبالغة لرعاية جمعية العبيد من قولهم : فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده . وقيل غير ذلك ، وقد تقدم الكلام على هذا فى سورة آل عمران وفى سورة الحج .

﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **نقول** ﴾ بالنون . وقرأ نافع وأبو بكر بالياء ، وقرأ الحسن : « أقول » وقرأ الأعمش : « يقال » والعامل فى الظرف ﴿ **ما يبدل القول لدى** ﴾ أو محذوف أى أذكر أو أنذرهم ، وهذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل ، ولا سؤال ولا جواب ، كذا قيل ، والأولى أنه على طريقة التحقيق ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع : قال الواحدى . قال المفسرون : أراها الله تصديق قوله : ﴿لأملأن

جهنم ﴾ [ص : ٨٥] فلما امتلأت قال لها : ﴿**هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ أى قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ ، وبهذا قال عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان . وقيل : إن هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة ، أى إنها تطلب الزيادة على من صار فيها . وقيل : إن المعنى : أنها طلبت أن يزاد فى سعتها لتضايقها بأهلها ، والمزيد إما مصدر كالمحيد أو اسم مفعول كالمنيع ، فالأول بمعنى : هل من زيادة ؟ والثانى بمعنى : هل من شىء تزيدونيه ؟

ثم لما فرغ من بيان حال الكافرين شرع فى بيان حال المؤمنين فقال: ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد** ﴾ أى قربت للمتقين تقريبا غير بعيد، أو مكان غير بعيد منهم بحيث يشاهدونها فى الموقف ، وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ويجوز أن يكون انتصاب ﴿ **غير بعيد** ﴾ على الحال . وقيل : المعنى : أنها زينت قلوبهم فى الدنيا بالترغيب والترهيب ، فصارت قريبة من قلوبهم ، والأول أولى . والإشارة بقوله : ﴿ **هذا ما توعدون** ﴾ إلى الجنة التى أزلفت لهم على معنى : هذا الذى ترونه من فنون نعيمها ما توعدون ، والجملة بتقدير القول ، أى ويقال لهم : هذا ما توعدون ، قرأ الجمهور: ﴿**توعدون**﴾ بالفوقية ، وقرأ ابن كثير بالتحتية ﴿ **لكل أواب حفيظ** ﴾ هو بدل من ﴿**للمتقين** ﴾ بإعادة الخافض أو متعلق بقول محذوف هو حال ، أى مقولا لهم لكل أواب ، والأواب : الرجاع إلى الله تعالى بالتوبة عن المعصية . وقيل : هو المسبح . وقيل : هو الذاكر لله فى الخلوة .قال الشعبى ومجاهد : هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلوة فيستغفر الله منها، وقال عبيد بن عمير:هو الذى لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه ، والحفيظ : هو الحافظ لذنوبه حتى يتوب منها . وقال قتادة: هو الحافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته ، قاله مجاهد . وقيل : هو الحافظ لأمر الله، وقال الضحاك : هو الحافظ لوصية الله له بالقبول .

﴿ **من خشى الرحمن بالغيب** ﴾ الموصول فى محل جر بدلا أو بيانا ﴿ **لكل أواب** ﴾ قيل : يجوز أن يكون بدلا بعد بدل من المتقين ، وفيه نظر لأنه لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ، ويجوز أن يكون فى محل رفع على الاستئناف والخبر ﴿ **ادخلوها** ﴾ بتقدير : يقال لهم : ادخلوها ، والخشية بالغيب : أن يخاف الله ولم يكن رآه ، وقال الضحاك والسدى : يعنى فى الخلوة حيث لا يراه أحد ، قال الحسن : إذا أرخى الستر وأغلق الباب ، و﴿ **بالغيب** ﴾ متعلق بمحذوف هو حال أو صفة لمصدر ﴿ **خشى** ﴾ ﴿ **وجاء بقلب منيب** ﴾ أى راجع إلى الله مخلص لطاعته . وقيل : المنيب : المقبل على الطاعة . وقيل : السليم ﴿ **ادخلوها** ﴾ هو بتقدير القول ، أى يقال لهم : ادخلوها ، والجمع باعتبار معنى « من » ، أى ادخلوا الجنة ﴿ **بسلام** ﴾ أى بسلامة من العذاب . وقيل : بسلام من الله وملائكته . وقيل : بسلامة من زوال النعم ، وهو متعلق بمحذوف هو حال ، أى ملتبسين بسلام ، والإشارة بقوله: ﴿ **ذلك** ﴾ إلى زمن ذلك اليوم كما قال أبو البقاء ، وخبره ﴿ **يوم الخلود** ﴾ وسماه يوم الخلود لأنه لا انتهاء له ، بل هو دائم أبدا ﴿ **لهم ما يشاؤون فيها** ﴾ أى فى الجنة ما تشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم من فنون النعم وأنواع الخير ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ من النعم التى لم تخطر لهم على بال ولا مرت لهم فى خيال .

وقد أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : « نزل الله من ابن آدم أربع منازل : هو أقرب إليه من حبل الوريد ، وهو يحول بين المرء وقلبه، وهو آخذ بناصية كل دابة ، وهو معهم أينما كانوا» . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **من حبل الوريد** ﴾ قال : عروق العنق . وأخرج ابن المنذر عنه قال: هو نياط القلب . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ قال : يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله : أكلت ، وشربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت ، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان من خيرأوشر وألقى مائره فذلك قوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ [الرعد : ٣٩] . وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس فى الآية قال : إنما يكتب الخير والشر ، لا يكتب يا غلام أسرج الفرس . يا غلام اسقنى الماء ، وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله غفر لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم » [(١)] . وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد فى الزهد والحكيم الترمذى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب عن عمرو بن ذر قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله عبد ولينظر ما يقول » [(٢)]. وأخرج الحكيم الترمذى عن ابن عباس مرفوعا مثله .

وأخرج عبد الرزاق والفريابى وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم فى الكنى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث وابن عساكر عن عثمان بن عفان أنه قرأ: ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**﴾ قال : سائق يسوقها إلى أمر الله ، وشهيد يشهد عليها بما عملت . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم فى الكنى وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة فى الآية قال : السائق الملك ، والشهيد : العمل . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا** ﴾ قال : هو الكافر ، وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك** ﴾ قال : الحياة بعد الموت . وأخرج ابن جرير عنه أيضا: ﴿ **وقال قرينه** ﴾ قال : شيطانه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى قوله : ﴿ **لا تختصموا لدى** ﴾ قال : إنهم اعتذروا بغير عذر فأبطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا . فى قوله : ﴿ **وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ قال : ما أنا بمعذب من لم يجترم . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا ، فى قوله : ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ قال : وهل فىّ من مكان يزاد فىّ ؟. وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال جهنم يلقى

---

(١) البخارى فى الأيمان والنذور (٦٦٦٤) والطلاق (٦٩٥٢) ومسلم فى الإيمان (١٢٧/٢٠١) وأبو داود فى الطلاق (٢٢٠٩) والترمذى فى الطلاق (١١٨٣) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » والعمل على هذا عند أهل العلم : « أن الرجل إذا حدث نفسه بالطلاق لم يكن شىء حتى يتكلم به » .

(٢) ابن أبى شيبة فى الزهد (١٦٢٠١) وأبو نعيم فى الحلية ٨/ ٣٥٢ والبيهقى فى الشعب (٤٦٧٨) .

فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط ، وعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم فى فضول الجنة » (١) . وأخرجا أيضا من حديث أبى هريرة نحوه (٢) . وفى الباب أحاديث .

وأخرج ابن جرير ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **لكل أواب حفيظ** ﴾ قال : حفظ ذنوبه حتى رجع عنها . وأخرج البزار وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث والنشور عن أنس ، فى قوله : ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ قال : يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة . وأخرج البيهقى فى الرؤية والديلمى عن على فى الآية قال : يتجلى لهم الرب عز وجل ، وفى الباب أحاديث .

﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)** ﴾

خوف سبحانه أهل مكة بما اتفق للقرون الماضية ﴿ **قبلهم** ﴾ أى قبل قريش ومن وافقهم ﴿**من قرن**﴾ أى من أمة ﴿ **هم أشد منهم بطشا** ﴾ أى قوة كعاد وثمود وغيرهما ﴿ **فنقبوا فى البلاد**﴾ أى ساروا وتقلبوا فيها وطافوا بقاعها وأصله من النقب ، وهو الطريق . قال مجاهد : ضربوا وطافوا ، وقال النضر بن شميل : دوروا . وقال المؤرج : تباعدوا ، والأول أولى . ومنه قول امرئ القيس :

وقد نقبت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

ومثله قول الحارث بن حلزة :

نقبوا فى البلاد من حذر الموت ... وجالوا فى الأرض كل مجال

وقرأ ابن عباس والحسن وأبو العالية وأبو عمرو فى رواية : « نقبوا » بفتح القاف مخففة ،

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٨٤٨) ومسلم فى الجنة ونعيمها (٢٨٢٨/ ٣٧) والترمذى فى التفسير (٣٢٧٢) وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٨٤٩) ومسلم فى الجنة ونعيمها (٢٨٤٦ / ٣٥ ، ٣٦) والنسائى فى التفسير (٤٥٢).

والنقب هو : الخرق والطريق فى الجبل ، وكذا المنقب والمنقبة ، كذا قال ابن السكيت ، وجمع النقب : نقوب ، وقرأ السلمى ويحيى بن يعمر بكسر القاف مشددة على الأمر للتهديد ، أى طوّفوا فيها وساروا فى جوانبها ، وقرأ الباقون بفتح القاف مشددة على الماضى ﴿ **هل من محيص**﴾ أى هل لهم من مهرب يهربون إليه ، أو مخلص يتخلصون به من العذاب ؟. قال الزجاج : لم يروا محيصا من الموت ، والمحيص : مصدر حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا ، أى عدل وحاد ، والجملة مستأنفة لبيان أنه لا مهرب لهم ، وفى هذا إنذار لأهل مكة أنهم مثل من قبلهم من القرون لا يجدون من الموت والعذاب مفرا ﴿ **إن فى ذلك لذكرى** ﴾ أى فيما ذكر من قصتهم تذكرة وموعظة ﴿ **لمن كان له قلب** ﴾ أى عقل . قال الفراء : وهذا جائز فى العربية، تقول : مالك قلب وما قلبك معك ، أى مالك عقل ، وما عقلك معك . وقيل : المراد : القلب نفسه ؛ لأنه إذا كان سليما أدرك الحقائق وتفكر كما ينبغى. وقيل : لمن كان **له** حياة ونفس مميزة ؛ فعبر عن ذلك بالقلب لأنه وطنها ومعدن حياتها ، ومنه قول امرئ القيس :

أغرك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى النفس تفعل

﴿ **أو ألقى السمع** ﴾ أى استمع ما يقال له ، يقال : ألق سمعك إلى أى استمع منى ، والمعنى : أنه ألقى السمع إلى ما يتلى عليه من الوحى الحاكى لما جرى على تلك الأمم ، قرأ الجمهور: ﴿**ألقى**﴾ مبنيا للفاعل وقرأ السلمى وطلحة والسدى على البناء للمفعول ورفع «السمع» ﴿ **وهو شهيد** ﴾ أى حاضر الفهم أو حاضر القلب لأن من لا يفهم فى حكم الغائب ، وإن حضر بجسمه فهو لم يحضر بفهمه . قال الزجاج : أى وقلبه حاضر فيما يسمع . قال سفيان : أى لا يكون حاضرا وقلبه غائب، قال مجاهد وقتادة :هذه الآية فى أهل الكتاب وكذا قال الحسن، وقال محمد بن كعب وأبو صالح : إنها فى أهل القرآن خاصة. ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام** ﴾ قد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة الأعراف وغيرها. ﴿ **وما مسنا من لغوب** ﴾ اللغوب : التعب والإعياء ، تقول : لغب يلغب بالضم لغوبا ، قال الواحدى: قال جماعة المفسرين : إن اليهود قالوا : خلق الله السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت ، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿ **وما مسنا من لغوب** ﴾ .﴿ **فاصبر على ما يقولون** ﴾ هذه تسلية للنبيص وأمر له بالصبر على ما يقوله المشركون ، أى هون عليك ولا تحزن لقولهم وتلق ما يرد عليك منه بالصبر ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ أى نزه الله عما لا يليق بجنابه العالى متلبسا بحمده وقت الفجر ووقت العصر. وقيل : المراد : صلاة الفجر وصلاة العصر . وقيل : الصلوات الخمس . وقيل : صل ركعتين . قبل طلوع الشمس ، وركعتين قبل غروبها . والأول أولى .

﴿ **ومن الليل فسبحه**﴾ « من » للتبعيض ، أى سبحه بعض الليل . وقيل : هذه صلاة الليل . وقيل :ركعتا الفجر . وقيل : صلاة العشاء ، والأول أولى ﴿ **وإدبار السجود** ﴾ أى

وسبحه أعقاب الصلوات . قرأ الجمهور : ﴿ **أدبار** ﴾ بفتح الهمزة جمع دبر . وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بكسرها على المصدر ، من أدبر الشيء إدبارا : إذا ولى . وقال جماعة من الصحابة والتابعين : إدبار السجود : الركعتان بعد المغرب ، وإدبار النجوم : الركعتان قبل الفجر ، وقد اتفق القراء السبعة فى ﴿ إدبار النجوم ﴾ [الطور : ٤٩] أنه بكسر الهمزة كما سيأتى . ﴿**واستمع يوم ينادِ المناد من مكان قريب** ﴾ أى استمع ما يوحى إليك من أحوال القيامة يوم ينادى المناد ، وهو إسرافيل أو جبريل . وقيل: استمع النداء أو الصوت أو الصيحة ، وهى صيحة القيامة ، أعنى :النفخة الثانية فى الصور من إسرافيل . وقيل : إسرافيل ينفخ ، وجبريل ينادى أهل المحشر ، ويقول : هلموا للحساب ، فالنداء على هذا فى المحشر ، قال مقاتل : هو إسرافيل ينادى بالحشر فيقول : يأيها الناس هلموا للحساب ﴿ **من مكان قريب** ﴾ بحيث يصل النداء إلى كل فرد من أفراد أهل المحشر . قال قتادة : كنا نحدث أنه ينادى من صخرة بيت المقدس ، قال الكلبى : وهى أقرب الأرض إلى السماء باثنى عشر ميلا . وقال كعب : بثمانية عشر ميلا . ﴿ **يوم يسمعون الصيحة بالحق** ﴾ هو بدل من ﴿ **يوم ينادى** ﴾ يعنى : صيحة البعث، و﴿ **بالحق** ﴾ متعلق بالصيحة ﴿ **ذلك يوم الخروج** ﴾ أى يوم الخروج من القبور ، قال الكلبى : معنى ﴿ بالحق ﴾ :بالبعث ، وقال مقاتل يعنى: أنها كائنة حقا .

﴿**إنا نحن نحيى ونميت**﴾ أى نحيى فى الآخرة ونميت فى الدنيا لا يشاركنا فى ذلك مشارك، والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث ﴿ **وإلينا المصير** ﴾ فنجازى كل عامل بعمله ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم** ﴾ قرأ الجمهور بإدغام التاء فى الشين ، وقرأ الكوفيون بتخفيف الشين على حذف إحدى التاءين تخفيفا ، وقرأ زيد بن على :« تتشقق » بإثبات التاءين على الأصل ، وقرأ على البناء للمفعول ، وانتصاب :﴿ **سراعا** ﴾ على أنه حال من الضمير فى عنهم، والعامل فى الحال ﴿ **تشقق** ﴾ . وقيل :العامل فى الحال هو العامل فى ﴿ **يوم** ﴾ ، أى مسرعين إلى المنادى الذى ناداهم ﴿ **ذلك حشر** ﴾ أى بعث وجمع ﴿ **علينا يسير** ﴾ هين . ثم عزى الله سبحانه نبيه ﷺ فقال : ﴿ **نحن أعلم بما يقولون** ﴾ يعنى : من تكذيبك فيما جئت به ومن إنكار البعث والتوحيد ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ بمسلط يجبرهم ويقهرهم على الإيمان ، والآية منسوخة بآية السيف ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ أى من يخاف وعيدى لعصاتى بالعذاب ، وأما من عداهم فلا تشتغل بهم، ثم أمره سبحانه بعد ذلك بالقتال .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **ومامسنا من لغوب** ﴾ قال : من نصب . وأخرج الطبرانى فى الأوسط ، وابن عساكر عن جرير بن عبد الله عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس**﴾ :« صلاة الصبح » ﴿ **وقبل الغروب** ﴾ : « صلاة العصر » [1]. وأخرج الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه وابن مردويه عن

(١) قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١١٥ : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه داود بن الزبرقان وهو متروك » .

ابن عباس ، قال : بت عند رسول الله ﷺ ، فصلى ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال : « يا ابن عباس ، ركعتان قبل صلاة الفجر إدبار النجوم ، وركعتان بعد المغرب إدبار السجود » (١) . وأخرج مسدد فى مسنده وابن المنذر وابن مردويه عن على بن أبى طالب قال : سألت رسول الله ﷺ عن إدبار النجوم وإدبار السجود . فقال : « إدبار السجود : ركعتان بعد المغرب ، وإدبار النجوم : الركعتان قبل الغداة » . وأخرج محمد بن نصر فى الصلاة، وابن المنذر عن عمربن الخطاب : إدبار السجود : ركعتان بعد المغرب ، وإدبار النجوم :ركعتان قبل الفجر . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن نصر وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أبى هريرة مثله . وأخرج البخارى وغيره عن مجاهد قال : قال ابن عباس: أمره أن يسبح فى أدبار الصلوات كلها . وأخرج ابن جرير عنه : ﴿ **واستمع يوم ينادالمناد**﴾ قال : هى الصيحة . وأخرج الواسطى عنه أيضا ﴿ **من مكان قريب** ﴾ قال : من صخرة بيت المقدس . وأخرج ابن أبى حاتم وابن المنذر عنه أيضا : ﴿ **ذلك يوم الخروج** ﴾ قال : يوم يخرجون إلى البعث من القبور . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : قالوا : يا رسول الله ، لو خوفتنا فنزلت : ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**﴾ (٢) .

---

(١) الترمذى فى التفسير (٣٢٧٥) وقال : « غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب » ، وابن جرير ٢٦/ ١١٣ ، وصححه الحاكم ١/ ٣٢٠ وقال الذهبى : «رشدين ضعفه أبو زرعة والدارقطنى » .

(٢) ابن جرير ٢٦/ ١١٥ .